

الصدق الثقافي للاختبارات النفسية المطبقة في الجزائر ومشكلة التكيف من أجل الصلاحية

أ.د. عبد العزيز بوسالم

جامعة البليدة2، الجزائر

قبل للنشر بتاريخ: 2017-02-18

تمت مراجعته بتاريخ: 2016-10-20

استلم بتاريخ: 2016-10-11

المخلص:

أكدت الدراسات أن الاختبارات النفسية المصممة للثقافات الغربية لا تحافظ على درجات مقبولة من الصلاحية عندما تترجم "مباشرة" إلى لغات وثقافات أخرى ومنها العربية. وعليه يتناول هذا المقال الجوانب التي يمكن التركيز عليها في تطبيق الاختبارات النفسية وفي محاولة تكيفها ويحدد العوامل الموضوعية التي تجعل الاختبار المبني في بيئة معينة غير صالح للتطبيق المباشر في بيئات أخرى تختلف من حيث الخصوصية الثقافية والاجتماعية في ظل المقاربات التي قدمتها دراسات علم النفس عبر الثقافي ونتائج الدراسة الحالية، مما يتطلب دعوة الباحثين في الجامعة الجزائرية إلى الاستثمار في تكيف الاختبارات والمقاييس النفسية أو إعادة التحقق من صلاحيتها بطرق سليمة بهدف جعلها تتلاءم مع الثقافة المحلية بمختلف مؤشراتها.

الكلمات المفتاحية: الاختبارات النفسية؛ التأصيل النظري؛ الصلاحية الثقافية؛ التحيز؛ التكيف.

Cultural validity of psychological testing administered in Algeria and the problem of adaptation for validation

Abdelaziz BOUSSALEM

Blida 2, Algeria

Abstract

Studies have confirmed that psychological tests designed for the occidental cultures does not maintain acceptable levels of reliability and validity when translated «directly» to others languages and cultures, including Arabic. Accordingly, this article deals with the aspects on which it is possible to focus on the application of tests and their adaptation. As it also deals with objective factors that make a test established for a particular society is unable to be applied in other different societies in terms of social and cultural specificity, which requires the appeal for investment to adapt psychological measurement tools with decent and scientific manner so that they accommodate themselves to the local culture.

Keywords: Psychological tests, Theoretical rationale, Validity, Bias, adaptation.

مقدمة:

إن الحركة العلمية للقياس النفسي عمت اليوم أرجاء العالم نتيجة الجهود الكبيرة والمتواصلة التي بذلها وما زال يبذلها علماء القياس بغية إيجاد الاختبارات النفسية المقننة لقياس الجوانب المختلفة لسمات الشخصية، ولم تقتصر هذه الحركة العلمية على العالم الغربي فحسب، بل انتقلت إلى العالم العربي الذي أمضى فيها فترة من الزمن، اكتفى خلالها بعملية ترجمة الاختبارات النفسية التي أعدها العلماء الغربيون ولكنه أحس بعد ذلك بالحاجة الماسة إلى إيجاد اختبارات تتلاءم مع خصوصية الشخصية العربية، لذا قام بعض علماء النفس العرب بجهد متواصل لتقنين عدد من الاختبارات على البيئة العربية، تناولت مختلف جوانب الشخصية إيماناً منهم بأن مجتمع الغرب لا يتلاءم مع طبيعتنا أو تكويننا وواقعنا، الأمر الذي دفعهم إلى مزيد من الجهود في ميدان بناء اختبارات صالحة في البيئة المحلية.

من المتعارف عليه أن المقاييس والمعايير النفسية والاجتماعية وطرق العلاج النفسي وأدواته مبنية على جملة من المعارف والتصورات التي نشأت في الغرب وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتجربة المجتمعات الغربية وخصوصياتها الثقافية، الاقتصادية والاجتماعية، غير أن هذه الاختبارات تطبق اليوم في الجزائر دون مراعاة لخصوصياتها، مما أدى إلى إيجاد مشكلات مستعصية على مستوى الأفراد والجماعات، فتطبيق هذه المقاييس ينتج عنها تحيزاً ثقافياً في المجتمعات الغربية نفسها فكيف عند تطبيقها في الجزائر كمجتمع إسلامي عربي، لذلك فإن الاختبارات النفسية المبنية في المجتمعات الغربية إذا طبقت في بيئة وثقافة مختلفة فإنها تظهر التمايزات العنصرية والثقافية والدينية أكثر من إظهارها للميزات والخصائص الشخصية لمن تطبق عليهم.

فالاختبارات والمقاييس النفسية في الجزائر منقولة عن طريق التعريب أو الترجمة المباشرة، مما يجعلها في حاجة إلى تكيف لكي تتلاءم مع خصوصية المجتمع الجزائري، لذلك فالحاجة ماسة لتقويم هذه الاختبارات المستخدمة والنظر في معايير ومدى ملاءمتها للمجتمع والبيئة الجزائرية.

الإشكالية:

أغلب الاختبارات والمقاييس المتداولة اليوم في البلدان العربية بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة تم إعدادها في الغرب وخاصة في أمريكا لذلك فهي مقاييس غير متحررة ثقافياً إلى حد يصعب تطبيقها في الواقع الجزائري والقول بموضوعية النتائج المتوصل إليها، وقد أكدت بعض الأبحاث عبر الثقافية أو ذات الطابع المقارن في علم النفس (عطوف، 2001؛ Aiken, J. R, 2003) وجود عدة مشكلات تنشأ من جراء الاختلافات الثقافية، فكل ثقافة تتميز بمعايير وقيم ومفاهيم تختلف عن الثقافات الأخرى أولى هذه المشكلات اللغة ومدى قدرتها على التعبير عن مختلف المعاني، فنقل عبارة من لغة إلى أخرى كثيراً ما يطرح مشكل المقابل في اللغة المقصودة والذي ينقل بأمانة المعنى المقصود في اللغة الأصل، بالإضافة إلى تصميم الاختبارات الأدائية المناسبة للثقافات المختلفة، فلكل ثقافة منطقتها وأشياء متداولة فيها ومألوفة، كما تعتبر مشكلة اختلاف نسب التعليم من ثقافة إلى أخرى عامل مؤثر في تشكل المعايير النفسية والاجتماعية في ثقافة معينة، كما أشار كل من (Thorndike,1971 ; Cronbach1982)

إلى مشكلة اختلاف دافعية الإنجاز عند الأفراد من مجتمع إلى آخر وهي التي تعتبر عاملا أساسيا في تحديد الاستجابات في بعض الاختبارات، منها اختبارات الذكاء والقدرات الخاصة واختبارات الشخصية الإسقاطية.

ونتيجة لهذه الأسباب وغيرها أصبح نقل الاختبار من بيئة وتطبيقه في أخرى مختلفة يتطلب الاهتمام باعتبارات سيكولوجية، قياسية، ثقافية، وهذا ما ذهبت إليه الجمعية العالمية للقياس النفسي في دليلها الصادر عام (1996) والمحرر من طرف عديد علماء النفس والقياس المهتمين بتكييف الاختبارات للاستعمال عبر الثقافي منهم (Hambleton, Bollwark, Van de Vijver) والذي حدد بعض القواعد الواجب احترامها عند محاولة نقل اختبار من ثقافة وتطبيقه في أخرى، قصد تقليل حجم الفروق الثقافية ومحتوى البنود المقدمة، بداية من تقديم معلومات دقيقة عن خصائص الأفراد المطبق عليهم، مختلف المراحل المعتمدة في إعداد الاختبار في صورته الجديدة، مراحل التقنيين، معادلة الجوانب المقيسة مفاهيميا ووظيفيا، تعليمات الاختبار وطرق تطبيقه، تدريب الفاحصين وتهيئة البيئة المناسبة، ليتم في الأخير توثيق كل هذه الإجراءات المتبعة مع الاختبار للتدليل على سلامة المنهج المتبع ومنه الحديث عن مصداقية النتائج أو صدق تفسيرها.

نظرا لهذه الاعتبارات أصبحت نظرية صدق الاختبارات الحديثة القاعدة في البحث عن اختبارات ملائمة ثقافيا، هذه النظرية تركز على مدى ملائمة عملية تأويل درجات المقياس أو الاختبار لأغراض معينة؛ أي أن صدق الاختبارات النفسية أصبح ينظر إليه على أنه يتمثل في طبيعة الأدلة والبيانات (éléments de preuve) التي تقدم للدلالة على مدى دقة تأويل درجات أداء المفحوصين على اختبار معين أو طريقة قراءتها، مما يعني أن صدق الاختبار ليس صفة أو خاصية للاختبار، بل أصبح البعد القيمي الاجتماعي للقياس جزءا أساسيا من مفهوم الصدق فأصبحت معايير التفسير ترتبط بالسياق السوسيوثقافي الذي بني فيه الاختبار واستخرجت معايير فظهر مفهوما جديدا في قاموس القياس النفسي هو صدق المآل أو المترنات (validité corrélatives) حسب ما ذهب إليه تيغزة (2008).

فتأويل النتائج بطبيعته يقوم على المفهوم الذي يرتبط بالسياق الاجتماعي الذي أنتج فيه السلوك أو الاستجابات التي نحن بصدد تأويلها، مما يعني أن تأويل النتائج يرتبط بالدرجة الأولى بالخصوصية النوعية لأفراد العينة.

هذه الحقيقة تجعل السعي إلى إيجاد تأويلات جديدة تتناسب وخصائص المفحوصين المطبق عليهم الاختبار والتي تختلف عن خصائص الأفراد المستمدة تأويلات الصدق بناء عليها عملية ضرورية، هذه العملية هي عملية تكيف الاختبار لجعله ملائم ثقافيا مع البيئة الجديدة.

فهل محاولات التكيف التي يقوم بها بعض الباحثين في الجزائر أخذت بعين الاعتبار هذا المفهوم الجديد لصلاحية الاختبارات؟ وهل الباحثين على دراية بمختلف الإجراءات العملية التي يجب القيام بها قصد الحصول على اختبار صالح للثقافة الجديدة؟ وهل يوجد فعلا اختبارات في الممارسة السيكولوجية في الجزائر يمكن القول عنها أنها اختبارات مكيفة؟

1- تحقيق صدق تأويل نتائج الاختبار مبرر لضرورة تكييفه:

يعتبر (Messick 1994) من المنظرين الأوائل لنظرية الصدق الحديثة حيث يرجع له الفضل في بلورة وتوضيح التعريف الحديث والمتداول للصدق، كما كان له السبق في الكشف عن بعض الأبعاد الجديدة لنظرية الصدق التي ترتبط بالبعد الثقافي، ويعتبر تعريفه للصدق الأكثر جدة ودقة وشمولا، فالصدق في منظوره هو حكم تقييمي شامل لمدى قدرة البيانات الإمبريقية ومنطق الإطار التنظيري (التأصيل النظري) على التأكيد بأن عمليات التأويل والقرارات القائمة على درجات المقاييس أو القائمة على نماذج أخرى من القياس، هي كافية لدرجة يمكن الوثوق فيها، فهي لا تتطوي على مغالاة ولا على تقصير لتلبية الغرض وملائمته لأفراد معينين.

ويشير تيغزة (2008) أن صدق الاختبار في الأصل هو تلخيص استقرائي لكل من البيانات المنبثقة عن تأويل درجات المقياس وأوجه استعمالها، وكذلك النتائج أو المترتبات المتحققة والممكنة المتمخضة عن التطبيق، فالصدق في جوهره تقييم امبريقي أو تجريبي لدلالة نتائج القياس من خلال دمج الطريقة العلمية في الاستقصاء للحصول على البيانات والحجج المنطقية لتبرير عملية التأويل وعملية الاستعمال أو التوظيف والتي يقابلها واقع إمبريقي معين يجب معرفته وتوظيفه في أي عملية بناء أو تكييف لأداة من أدوات القياس في علم النفس، بمعنى أن تفسير النتائج هو المعيار الأساسي في عملية البناء والتكييف وليس مجرد أدلة كمية تشير إلى تمتع الاختبار بمستويات عالية من الصدق والثبات.

2- تكييف الاختبارات النفسية، الحاجة والمفهوم:

يشير (Lomov et al, 1993) إلى أن المفاهيم التي تطورت في ثقافة معينة ستكون أقل فاعلية في التفاعل مع عقول الأفراد في ثقافات مختلفة، نظرا لأن المفاهيم لا يمكن استيرادها فهي تعكس قيم الثقافة والخصوصية التي تطورت فيها، كما تحتوي المفاهيم على قيم وأراء تعمل على تشويه الإدراك وإعاقة الفهم العميق عندما تطبق في بيئة أخرى، فالعالم الغربي عندما شرع في بناء اختبار معين قد وضع نصب أعينه إنسان غربي بكل ما تحمله الكلمة من معاني ثقافية وحضارية وعقائدية، ولكن الباحث نفسه لو نظر إلى فرد عربي مسلم مثلا فسوف يفشل في إدراك ووعي جوانب مهمة في ثقافته وبالتالي لن يتمكن من تقديم اختبار صالح لهذه الثقافة، ويعزى ذلك إلى أن عملية التصور لإدراك هذه الجوانب غير موجودة في علمه أساسا. (Azuma, 1984)

في ظل هذه الحقائق العلمية ظهرت الحاجة الماسة إلى تكييف الاختبارات النفسية في الجزائر لجعلها خاضعة لقيم ومعايير المجتمع المحلي والذي له خصوصيته التي تختلف عن بقية المجتمعات الأخرى، وقبل الخوض في مختلف جوانب التكييف نقدم توضيحا اصطلاحيا للتكييف.

مفهوم تكيف الاختبارات: يشير مفهوم تكيف الاختبارات النفسية إلى كل الإجراءات التي يتبعها الباحث بدءاً من تقديره عما إذا كان باستطاعة الاختبار تقدير التركيبة نفسها عند نقله من ثقافة إلى أخرى، وصولاً إلى محاولته الحصول على مفاهيم، مفردات وتعابير متعادلة ثقافياً، لغوياً ونفسياً مع الثقافة الجديدة للاختبار، فتكيف اختبار يأخذ أبعاد أكثر من ترجمة محتوياته من لغة إلى أخرى ليشمل جملة من التعديلات المنطقية المدروسة والمرحلية والتي تحتاج إلى أدلة علمية لتؤكد أن الاختبار بصورته الحالية صالح (Valide) للتطبيق ونتائجه تنطبق على العينة الجديدة وفق خصائصها الثقافية.

فحسب لجنة الاختبارات العالمية (ITC) المهمة بتكيف الاختبارات حين نقلها من ثقافة إلى أخرى فإن التقدم في جعل الاختبار صالحاً في بيئات مختلفة، يتضمن بالدرجة الأولى التعريفات الإحصائية لبنود الاختبار المقترحة والعمل على خلق تعادل بين الصيغ اللغوية والثقافية المختلفة لاختبار معين، من أجل الأغراض المختلفة العلاجية، المهنية والتربوية.

3- الانحياز والتكافؤ في الاختبارات النفسية:

يختلف مفهوم الانحياز والتكافؤ في أدبيات بناء الاختبارات النفسية، فيقال عن عملية قياس أنها منحازة إذا اختلفت الدرجات المسجلة في الاختبار من لغة إلى أخرى أو من ثقافة إلى أخرى بسبب وجود تباين غير مرغوب في معنى النتائج المتحصل عليها، ويرتبط مصطلح التكافؤ من الناحية الذهنية بقياس أوجه الخلاف بين العادات، التقاليد، المعايير والقيم الاجتماعية وما ينتج عن ذلك من انحياز، فالاختبار المنحاز ثقافياً سوف يعطي درجات غير متكافئة وغير صادقة مما يعني أن تفسيرها لن يكون موضوعياً.

وعليه سوف نستعمل مصطلح عدم التكافؤ كصفة مميزة لدرجات الاختبارات التي تتأثر بالعامل الثقافي وتصبح منحازة للمجتمع الذي قننت عليه واستخرجت معايير انطلاقاً من خصائصه فالانحياز ليس صفة من صفات الاختبارات النفسية في حد ذاتها، وإنما هي نتيجة لتطبيق هذه الاختبار على أفراد يختلفون في خصائصهم عن الأفراد الذين بني الاختبار من أجلهم واستخرجت معايير تفسير نتائجه وفق خصائصهم مما لا يسمح بالتعميم إلا في حدود ضيقة جداً ترتبط بمجال التطبيق وخصائص العينة.

4- كيف يصبح الاختبار النفسي منحازاً:

إن انحياز بنود الاختبار إلى أفراد ينتمون إلى ثقافة معينة على حساب آخرين ينتمون إلى ثقافة مختلفة قد ينتج عن عوامل تسمح بتحديد ثلاث فئات أساسية من الانحياز، وهي انحياز البنية، انحياز المنهج وانحياز الموضوع (فيجر وتانزر 1979).

4-1- انحياز البنية: يقصد بانحياز البنية التباين والاختلاف في البنيات الثقافية بين مختلف المجموعات التي يطبق عليها الاختبار، فالعوامل التي تشكل بنية الاختبار مثل السلوكيات، المواقف المعايير الاجتماعية والقواعد التي تحكم أدوار الأفراد ومكانتهم في المجتمع، كل هذه الجوانب ليست واحدة في مختلف الثقافات، فحسب ميلر (1997) فإن انحياز البنية هو القاعدة في مختلف أنواع تحيز الاختبارات في مجال علم النفس عبر الثقافي، ويمكن تلخيص الجوانب التي تجعل بنية الاختبار منحازة في الجوانب التالية:

عدم التماثل في تعريف بنية السمة المراد قياسها عبر الثقافات، فالسمة نفسها قد تكون لها معاني مختلفة من ثقافة إلى أخرى، فالعزلة الاجتماعية مثلا قد تأخذ عدة مؤشرات باختلاف الثقافات، ففي مقياس للانطواء الاجتماعي بني في فرنسا يسأل الفرد عن مدى حضوره الحفلات الليلية ودعوات عشاء عمل، ويفسر سلوك عدم المشاركة في مثل هذه المظاهر الاجتماعية على أساس أنه انطواء وسمة من سمات الشخصية غير الاجتماعية، في حين أن نفس المظاهر قد تصبح ليس لها معنى آخر في البيئة العربية الإسلامية، حيث ينذر هذا النمط من السهرات ويكاد يقتصر على فئة محددة جدا لا تمثل سوى نسبة قليلة من المجتمع، بالتالي لا يمكن اعتبار هذا المؤشر صالحا لكل الثقافات.

ومن الأمثلة على انحياز البنية ما يحدث في أغلب اختبارات الذكاء المطبقة اليوم في البيئة الجزائرية بدون إخضاعها لعملية التكيف، حيث تميل بعض هذه الاختبارات إلى توظيف تعريف ضمني للذكاء يشير إلى حسن المحاكمة والتفكير المنطقي (اختبار رافن للمصفوفات نموذجاً). والبعض منها يميل إلى تناول الذكاء باعتباره كمية المعلومات المكتسبة وسعة الذاكرة (مقياس فكلسر للذكاء الأطفال والراشدين)، في حين أن بعض الدراسات أكدت أن المفهوم الشائع للذكاء في بعض المجتمعات الشرق الآسيوية والإفريقية يتضمن عدد المظاهر الاجتماعية.

ففي دراسة (مندي وكاستل 2004) حول مفهوم الذكاء حسب رأي الأمهات في عدة دول إفريقية تبين أن الطفل الذكي هو الطفل المطيع والذي لا يسبب مشكلات للآخرين ويتبع الطرق الملائمة في مخاطبة الغير. كما أشار (سيريل 1993) أن صفات الشخص الذكي في اليابان والصين والهند تتجاوز ميدان المدرسة والتربية المقصودة والذي يعتمد في الاختبارات الأمريكية والأوروبية (وهي المتداولة في الجزائر)، لتشمل الحياة الاجتماعية والأسرية ومدى التزام الفرد بمثل وقيم ثقافية معينة، كما تبين أن الدراسات الصينية تستعمل مفهوماً أوسع بكثير للذكاء حيث تعتبر الاهتمام بالوالدين ورعايتهم والمشاركة في الأعمال ذات الصالح العام مؤشرا دالاً على ارتفاع مستوى ذكاء الفرد، هذا المفهوم لا ينطبق على الذكاء في المجتمعات الأوروبية.

فهل هناك معايير للذكاء خاصة بالمجتمعات العربية ومنها الجزائر؟ أم أننا نعتمد المعايير الأوروبية في مختلف دراستنا للذكاء في بعده النظري والقياسي، وبالتالي فنحن نواجه مشكلة عويصة لكوننا لا نملك مفهوماً للذكاء نابعا من الخصوصية الثقافية، وعليه تأتي تصنيفنا للأفراد وفق اختبارات غربية قد نعمل على تكييفها هي تصنيفات تمتاز بالانحياز الثقافي للبيئة التي وجد الاختبار في ظلها.

4-2- انحياز المنهج: عادة ما يكون المنهج المتبع في بناء الاختبارات أو في تطبيقها من العوامل التي من شأنها أن تؤثر في مصداقية النتائج، ويشير تحيز المنهج إلى جانبين الأول يتعلق بخصائص الأداة والتي لا علاقة لها بهدف الدراسة، ومع ذلك تسبب تحيزا في تفسير نتائج الاختبار، والمثال الأكثر شيوعا في الاختبارات العقلية هو ألفة الأفراد بالمنبهات والاستجابات (شكل الاستجابة)، فمن خلال تطبيق اختبار ذكاء لنسخ مجموعة من الرسومات طبق على مجموعة أطفال من بريطانيا وأخرى من زامبيا، أظهرت النتائج تفوق البريطانيين في الرسومات المصنوعة من الورق وقلم الرصاص، بينما تفوق الزامبيون في الرسوم المعمولة بالأسلاك المعدنية، فيما لم تسجل فروق في الرسومات المعمولة من وسائل أخرى. وقد فسر (سيربل، 1997) هذه المشاهدات على أنها راجعة أساسا إلى اختلاف التآلف مع الأجوبة أو شكل الاستجابات، بمعنى أن التعود على التعامل مع مواقف معينة يجعلها سهلة ومألوفة بالنسبة للفرد، في حين أن فردا آخر قد يواجه الموقف الاختباري نفسه ويكون غير متعود على ذلك الموقف فيحصل على نتائج غير كافية أو منخفضة، فيتم إصدار حكم على انخفاض مستوى ذكائه في حين أن الأمر يتعلق بالألفة وليس بالذكاء في حد ذاته.

أما الجانب الثاني من تحيز المنهج فيشير إلى الانحياز الإداري (انحياز إدارة الاختبار) والذي يقصد به اختلاف الدرجات التي يحصل عليها الأفراد ليس لتباين السمة التي تقيسها الاختبار وإنما لتباين طبيعة التعليمات ومختلف مشكلات التواصل بين مطبق الاختبار والمفحوص، فهذا يحدث عندما يستعمل الباحث لغة أو لهجة غير لغته الأم.

وقد ناقش جنسن (Jensen, 1990) تأثير مميزات الشخص الذي يطبق الاختبار (الجنس، العمر، المستوى العلمي، القناعات الإيديولوجية) على نتائج الاختبارات، وأعتبر أنها عوامل لها تأثير على النتائج التي يسجلها من خلال تطبيق اختبار معين.

فانحياز المنهج له تأثير على اختلاف معنى الدرجات، والذي يعود إلى ما يسمى بـ **خداع القياسات**، والمعنى المتضمن في ذلك خطير على طبيعة القرارات التي نتخذها بشأن الأفراد، فالباحث أو الممارس النفسي الذي يقارن الدرجات نفسها عبر الثقافات بهدف تفسيرها، سواء من خلال اختبار الدلالة الإحصائية للنتائج أو من خلال جدول الدرجات المعيارية الذي يعده الباحث وهو يضمن أنه تجاوز إشكالية المعايير من خلال هذا النوع من الجداول، وهو في حقيقة الأمر قد وقع في مشكل نابع من انحياز المنهج، فالمعايير الإحصائية التي يتم اقتراحها ليس هي الحل القياسي النفسي لهذا المشكل التفسيري.

4-3- انحياز البند: تساءلت (Anastasi, 1961) كيف يمكن أن نترجم صورة من صور اختبار معين أو نقلها من ثقافة إلى أخرى، وهي إشارة ضمنية إلى ما يعرف بانحياز البند، حيث يتضمن هذا النوع من الانحياز مجموع النقائص التي تؤثر على صحة البنود فقط، فبينما يتناول انحياز البنية والمنهج المظاهر العامة للاختبار، فإن انحياز البند يهدد صدق البند ويمنع التعميم والمقارنة المباشرة للدرجات بين مجموعات ثقافية ولغوية مختلفة.

إن أهم أسباب انحياز البند هو الترجمة السيئة واختلاف المعاني الضمنية للكلمات، فعندما نترجم كلمات قد نركز على المعنى الحرفي لها، وحتى إذا حاولنا ترجمة المعنى لأبد أن يكون المعنى متضمن في الثقافة التي نترجم إليها الاختبار، وفي هذه الحالة يحدث انحياز البند على اعتبار أن ما يقيسه البند من مؤشرات لا يتضمن المعنى نفسه في ثقافات مختلفة.

أورد (سيرغي وآلاف، 2003) مثالا عن مفهوم العدوانية حيث ورد في قاموس " وبستر" الأمريكي أن العدوانية تتجلى في الاستعداد الواضح للخصام، بينما قاموس " أكسفورد" البريطاني فيعطي معنى للعدوانية على أنها ممارسة الهجوم دون تربص مع المبادرة بالنزاع. هذا يبين أن مشكل انحياز البند في الترجمة ليس في اللفظ أو المعنى فقط، ولكن ما هو المعنى الذي نعطيه للمفهوم في ثقافة معينة وما هي الأسس التي نعتمد عليها، والسؤال الأعمق هل الباحثين والممارسين في الميدان النفسي اليوم في الجزائر يدركون هذه الإشكالات وهل هناك مجهود مدروس وعلمي للبحث عن حلول موضوعية لهذه الصعوبة التي تجعل من نتائج الاختبارات تفقد الكثير من مصداقيتها وصلاحيتها لاتخاذ مختلف القرارات.

5- المعايير الواجب توفرها في الاختبار حتى يمكن تطبيقه والاستفادة الفعلية من نتائجه:

إن واقع الممارسة السيكولوجية في الجزائر يعج بالاختبارات النفسية على اختلاف درجات موضوعيتها وصلاحيتها للتطبيق، مما يعني أن المختص في علم النفس بمختلف مجالاته يجب أن يكون على دراية بالشروط والخصائص الواجب توفرها في الاختبارات، وبالتالي اعتبارها معايير يحتكم إليها لقبول اختبار أو عدم قبوله، وأهم هذه المعايير هي:

- يجب أن يتوفر للاختبار دليل يوضح كيفية استخدامه وأهدافه، ودراسات الصدق والثبات التي أجريت عليه، وكذلك توفر التعليمات ومفتاح التصحيح ومعاييره وطرق تفسير درجاته.
- وجوب استخدام الاختبار من أجل الهدف الذي وضع من أجله عند البناء، والفئات العمرية التي خصص لقياس سمة من سماتها.
- يجب أن يتمتع الاختبار بخصائص سيكومترية مقبولة، من الصدق والثبات والموضوعية للوثوق في نتائجه وصحة تفسيرها والاعتماد عليها في اتخاذ مختلف القرارات.
- النظر في حداثة الاختبار من حيث تاريخ إعداده والدراسات التي أجريت عليه من أجل التحقق من صلاحياته في مختلف البيئات.
- الاهتمام بالجانب الثقافي عند نقل الاختبار من ثقافة إلى أخرى وترجمته من لغة إلى أخرى إذ يجب أن يترجم ترجمة ثقافية وليس حرفية لتجنب التحيز الثقافي، ووجوب إعادة دراسات الصدق والثبات والمعايير وصياغة التعليمات ومفاتيح التصحيح وإعادة تقنينها على عينات جديدة المجتمع الجديد الذي سوف تطبق فيه.
- تحديد مسؤولية من يقوم بتطبيق الاختبارات ووجوب توفره على التأهيل العلمي والكفاءة الميدانية التي تسمح له بتطبيق الاختبار والاستفادة من نتائجه.

▪ حماية حقوق من يطبق عليهم الاختبار من حيث التفسير الخاطئ للنتائج، وضمان سرية المعلومات التي يصل إليها.

6- الجوانب المستهدفة في تقييم الاختبارات:

- هدف المقياس : هل المقياس يستخدم الهدف الذي أعد من أجله وقياس السمة التي وضع لقياسها.
- محتوى المقياس: استعراض محتوى الاختبار من عدد البنود، وهل تطبق جميعها لفئات معينة أم جزء من بنود الاختبار.
- التطبيق: طريقة تطبيق الاختبار، والعوامل المساعدة أثناء التطبيق ومستوى تأهيل من يقوم بتطبيق الاختبار، وهل يطبق الاختبار لنفس الفئة التي أعد لها.
- شكل المقياس: أدوات ورقية أم أدوات خشبية، وهل هي بصورة جيدة أو رديئة.
- عالمية المقياس: ويتم من خلالها استعراض للدراسات التي أجريت على المقياس في بيئته الأصلية والبيئة العربية والمحلية والنقد الموجه لها.
- المعايير: هل المعايير المعتمدة في تفسير النتائج محلية، وهل العينات التي قنن عليها الاختبار واستخرجت لها المعايير ممثلة لكافة فئات للمجتمع المحلي.
- التصحيح: مدى توفر مفتاح التصحيح وسهولة أو صعوبة نظام تصحيح الاختبار.
- التفسير: طرق تفسير درجات الاختبار، ومدى الاعتماد على الاختبار في اتخاذ مختلف القرارات.
- التعليمات ووضوح الأسئلة: وضوح التعليمات، وطرق الإجابة على أسئلة الاختبار عن طريق الأمثلة التدريبية، وكذلك النظر في صياغة البنود ومدى صعوبتها وملاءمتها للبيئة المحلية.

7- واقع تطبيق الاختبارات غير المكيفة في الممارسة السيكولوجية في الجزائر:

بعد استعراض أهم الشروط أو المعايير التي يجب توفرها في أي اختبار أو مقياس من أجل تطبيقه والثقة في نتائجه، نستعرض نتائج دراسة أولية لواقع تطبيق الاختبارات في الممارسة السيكولوجية في الجزائر، مع العلم هذه الخصوصية يمكن أن تنطبق على الواقع العربي نظرا لتشابه الظروف الثقافية والاجتماعية واعتماد هذه الممارسة في أغلب الحالات على اختبارات بنيت في بيئات غربية مما يتطلب القيام بعدد من الإجراءات الفنية والميدانية قبل تطبيق هذه الاختبارات.

وقد كانت الملاحظات الميدانية كما يلي:

- أغلب الاختبارات غير مقننة على المجتمع المحلي الجزائري، فضلا على أن النسخ المستخدمة من معظم هذه المقاييس صور قديمة، وبذلك تكون هذه المقاييس غير ملائمة للاستخدام في المجتمع المحلي، ومنه ينبغي الحذر في الاعتماد على نتائجها لأنها غير مقننة ومعاييرها غير مشتقة من البيئة المحلية وغير شاملة، وهذه النتيجة تتفق مع ما أكدته عدة دراسات، حيث أوضحت أن المقاييس في الوطن العربي ما هي إلا عبارة عن مقاييس معربة ومنقولة من المجتمع الغربي رغم الاختلاف الثقافي والتباين الاجتماعي بين المجتمع العربي والمجتمعات الغربية. (عسيري، 1994؛ عدس، 1999؛ عبد

الخالق، 1999)

- معظم المقاييس المستخدمة هي مقاييس معربة أو مقننة على بعض البيئات العربية، ونجد أن هناك بعض الاختلافات بين البيئات العربية في عدد من الجزئيات والثقافات الفرعية، أي اختلافات من الناحية الاجتماعية والحضارية وكذلك اللهجة العامية المتداولة وهذا ما أشارت إليه دراسة عسيري (1998)

فحركة القياس في العالم العربي التي بدأت مع البعثات العلمية للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه وبمجرد رجوع الأساتذة من الجامعات الغربية لاسيما المصريين قاموا بتعريب هذه المقاييس وتطبيقها في بلادهم، ثم نقلت هذه المقاييس المعربة إلى الكثير من البلدان العربية ومنها الجزائر، وهذا ما يفسر كون معظم المقاييس المستخدمة باللغة العربية هي نتاج الباحثين والعلماء المصريين من التعريب والتقنين، مع ظهور مجموعة من الباحثين في بعض الدول العربية الخليجية الذين قدموا مجموعة من الاختبارات العالمية بعد محاولات تكييفها على البيئات المحلية.

- كما أن الواقع يشير إلى غياب أو ندرة المقاييس والاختبارات المقننة على البيئة الجزائرية التي تتفق بنودها ومحتواها مع خصائصها الاجتماعية والثقافية، وأن معظم محاولات التقنين لبعض المقاييس كانت هي محاولات فردية (في إطار الحصول على شهادات أكاديمية).

- كما أن عينات هذه الدراسات غير ممثلة للمجتمع الجزائري، وأن هذه المحاولات رغم التحفظات التي عليها لا تستخدم محليا، مع إن استخدامها يكون أصح من استخدام مقاييس غير مقننة محليا، وبذلك فنحن نفتقر إلى المشاريع الكبيرة التي تدعمها مراكز البحث أو مخابر بحث لتقنين المقاييس على البيئة الجزائرية بمساهمة فريق من الباحثين المتخصصين لتتضافر الخبرات والجهود وتعطي نتائج يمكن الوثوق بها.

- الأخصائيون القائمون على تطبيق هذه الاختبارات هم في الغالب ممن لا تتوفر فيهم الكفاءات العلمية المطلوبة لتطبيق الاختبارات النفسية، وعلى مستوى من التدريب الكاف لتطبيق هذه المقاييس وتفسير نتائجها تفسيراً علمياً موضوعياً، وهذا ما حثت عليه معظم الدراسات من وجوب تقويم كفاءة من يقوم بتطبيق المقاييس النفسية وقدرته على التفسير الجيد واتخاذ القرارات الصائبة، حيث أكدت هذه الدراسات على أهمية كفاءة القائمين بتطبيق هذه المقاييس النفسية، ويجب أن يكونوا على مستوى من التأهيل والتدريب لئلا تستخدم هذه المقاييس بطريق خاطئة غير علمية، وتبني على تفسيراتها قرارات خاطئة قد تؤثر على مصير الأفراد ومستقبلهم في المجتمع.

معظم المقاييس والاختبارات تعتبر من المقاييس العالمية المنتشرة في معظم دول العالم ولها خصائص وشواهد صدق مقبولة وجيدة كما سبق ذكرها، وأن معظم المقاييس تتمتع بمعاملات ثبات مرتفعة وتنوع الدراسات من الصدق والثبات لهذه المقاييس، ولكنها لا تتوفر لمعظمها دراسات صدق وثبات على البيئة المحلية، هذا ما ركزت عليه الدراسات التي تم عرضها والاطلاع عليها بالنظر إلى قوة المقياس وتقويمه كأداة فاعلة وصادقة لقياس الهدف الذي وضع من أجله في بيئته.

ويمكن تلخيص النتائج فيما يلي:

- أغلب الاختبارات المستخدمة هي اختبارات غربية البناء والمعايير.
- تداخل محتوى الاختبارات فيما بينها من حيث السمات التي تقيسها.
- الاختبارات المَعربة لا يتفق محتواها مع ثقافة المجتمع الجزائري.
- عدم وضوح التصور النظري الذي يكمن خلف هذه الاختبارات، وعدم إدراك المطبقين لهذه الأبعاد إلى درجة كبيرة، فالباحث يطبق الاختبار في بعده التقني المحض.
- الكثير من الباحثين يطوِّع بعض الاختبارات للتطبيق على فئات غير مناسبة، فقد وجدنا من يطبق مقياس دافعية الانجاز للراشدين على فئة المسنين في مراكز الشيخوخة، والمقياس كله عبارة عن تصور المستقبل بحيث لا تصلح عباراته تماما لفئة المسنين الذين يعتبر مستقبلهم في حكم الماضي بالنسبة للكثير منهم.

خلاصة:

إن الوصول بالاختبار إلى درجة الصلاحية (ما يمكن تسميته بصدق الاختبار) ليس مجرد ممارسة تقنية احصائية أو فنية محضة، بل عملية تتأثر بالقيم والمعايير الاجتماعية. فالصدق ليس قيمة تقنية قد تكون معامل ارتباط الاختبار بمحك أو أداء واقعي للأفراد (الصدق التجريبي، المحكات)، بل هو نسقا أو إنشاء اجتماعي، وكونه نتاج اجتماعي معناه أن صلاحية الاختبار لا تتحدد بمحتوى الاختبار ودلالاته الداخلية أو بعلاقته الارتباطية بالمحكات الخارجية (اختبارات أخرى)، أو متغيرات سلوكية ذات العلاقة بل يتحدد بأبعاد اجتماعية قيمية أو معيارية تتمثل أساسا في الآثار والمترتبات والتبعات والمآلات (Conséquences) المستفاد من البعد الثقافي الاجتماعي الذي ينجز فيه السلوك ويتم قياسه فيه، مما يعني أن إعادة قياسه خارج هذا السياق مع المحافظة على نفس التأويلات يصبح بمثابة عبث إمبريقي لا فائدة علمية ترجى منه.

ومن آثار هذا التصور على الممارسة الميدانية للقياس، أن صلاحية الاختبار وموثوقيته لم تعد شأنا خاصا بوضع المقياس أو الاختبار وحده، بل مسؤولية جميع من يستعمل الاختبار من بعده أيضا. فمسؤولية واضع المقياس أن يذكر تأويلات الدرجات التي تخدم صدق مفهوم المقياس، والتأويلات أو التفسيرات الأخرى التي تخدم صدق الاختبار والتي تفسده وتضفي على النتائج معاني أخرى غير المعنى الأصلي الذي جاء به الاختبار، فعلى مستعملي الاختبارات (وهذا ما ينطبق على الممارسة النفسية في العالم العربي اليوم) عليهم أن ينتبهوا وأن يلتفتوا إلى الآثار والمترتبات غير المتوقعة عند استعمال المقياس، وأن التأويلات التي يقدموها عند قراءة البيانات المستفاد من المقياس أو الاختبارات والاستنتاجات التي يقومون بها والقرارات المتخذة القائمة على تأويل الدرجات، وطريقة استعمال المقياس تقوم أساسا على خلفية قيمية مما يضفي على المفهوم أبعادا أخرى أو دلالات غريبة عنه تختلف عن الدلالات الأصلية، فتبخس المفهوم الأصلي بعض دلالاته أو أبعاده العلمية التي جاء بها الباحث في إطار ثقافة وخصوصية معينة.

قائمة المراجع

- كاظم، أمينة محمد (1996). دراسة نظرية نقدية حول القياس الموضوعي للسلوك - نموذج راث - في أنور الشرقاوي وآخرون. اتجاهات معاصرة في القياس والتقويم النفسي والتربوي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص 281 - 430.
- الشرقاوي، أنور محمد (1996): الاختبارات المرجعة إلى محك وسائل جديدة في القياس النفسي والتربوي. في أنور الشرقاوي وآخرون. اتجاهات معاصرة في القياس والتقويم النفسي والتربوي. القاهرة: الأنجلو المصرية، ص 19-39.
- حسانين، حمدي (1997). الاختبارات والمقاييس النفسية الخاصة بتصنيف واختبار الموهوبين في الموهوبون أساليب اكتشافهم وسبل رعايتهم في التعليم الأساسي. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- الشنطي، راشد (1983). دلالات صدق وثبات اختبارات تورانس للتفكير الإبداعي. صورة معدلة للبيئة الأردنية الاختبار اللفظي والاختبار الشكلي. رسالة ماجستير غير منشورة. الأردن: الجامعة الأردنية.
- معمرية، بشير (2007). القياس النفسي وتصميم أدواته للطلاب والباحثين في علم النفس والتربية. الطبعة الثانية. الجزائر: منشورات الحبر.
- عباس، فيصل (1996). الاختبارات النفسية تقنياتها وإجراءاتها. بيروت: دار الفكر العربي.
- صلاح، احمد مراد. وآخرون (2005). الاختبارات والمقاييس في العلوم النفسية والتربوية. ط2. القاهرة: دار الكتاب الحديث.
- صلاح الدين، محمود علام (1995). الاختبارات التشخيصية مرجعية المحك في المجالات التربوية والنفسية والتدريبية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الأنصاري، بدر محمد (2000). قياس الشخصية، بدون طبعة. الكويت: دار الكتاب الحديث.
- النبهان، موسى (2004). أساسيات القياس في العلوم السلوكية. الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- ثورندايك، روبرت. وآخرون (1986). القياس والتقويم في علم النفس والتربية. ط4. عمان: مركز الكتب الأردني.
- الدويسري. وآخرون (2001). إطار مرجعي في القياس والتقويم التربوي. بدون طبعة. الرياض: المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج العربي.
- عبد السلام، نادية محمد (1996). نظرة جديدة حول معايير التقويم. في أنور الشرقاوي وآخرون. اتجاهات معاصرة في القياس والتقويم النفسي والتربوي. القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية. ص 41-62.
- كاظم، أمينة محمد (1995). اتجاهات معاصرة في بناء بنوك الأسئلة. في الأسس التربوية لإعداد المعلم الجامعي. ط2 .. القاهرة: جامعة عين شمس. ص 247-267.
- روبرت، ثورندايك. إليزابيت، هاجن (1989). القياس والتقويم في علم النفس والتربية ترجمة: عبد الله زيد الكيلاني وعبد الرحمن عدس. عمان: مركز الكتاب الأردني.

المراجع الأجنبية:

- A.Anastasi(1976).*Sychological Testing*. New York,Mak: Millan.
- Cronpach.Lee.J (1961). *Essentials Of Psychological Testing*. New York, Harper Row.
- Carey, L.M.(1994).*Measuring and evaluating school learning*. 2ém edition London: Allyn and Bacon.
- Hambleton, R.K(1998).*Toward An Integration of Theory and Method for Criterion Referenced Tests*. *Review of Educational Research*. New York. P 137-172.